ذكرى ابي الثناء

شهاب الدين محمود الألوسي

حياته الخاصة

في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ = ٢٧ آب سنة ١٩٥١ م مضى مائة حول على وفاة عالم العراق وأديبه ومؤرخه . ولد في منتصف شعبان سنة ١٢١٧ هـ ، وتوفي ولم يتجاوز الخمسين سنة الا قليلاً . ظهر في عهد المماليك في العراق وكانت حكومتهم بدأت سنة ١١٦٣ هـ وانقرضت سنة ١٢٤٧ وعاش الى ما بعد انقراضها فأدرك حكم الدولة العثمانية المباشر ورأى جملة من الولاة .

أدرك الألوسي قسماً كبيراً من ايام المماليك الذين عملوا على بث العلم والآداب ليثبتوا حكمهم باكتساب رضا الأهلين فأسسوا المدارس والمعاهد الخيرية . وقد ظهر في أيامهم علماء أكابر وبيوت انصرفت الى العلم واشتهرت به كآل السويدي ومنهم : الشيخ عبد الله السويدي الذي كان قبل المماليك بمدة وأدرك عهدهم ثم توالى بعده أولاده ، وصبغة الله الحيدري ، والسيد عبد الله الألوسي (والد الأستاذ المترجم) الذي ولي التدريس في مدرسة الامام الأعظم اربعين سنة ، كما ظهر غير هؤلاء جماعة من العلماء ، منهم من هو من اساتذة الألوسي ذكرهم في مختلف مؤلفاته ، ومنهم من لم يتعرض لذكره كعلماء من الأكراد وغيرهم .

ويرجع الفضل في ثقافة العصر الى المدارس التي قامت في ايام المماليك وانتقلت من عهد العباسيين فمن بعدهم . ومن اشهر هذه المدارس الجديدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المدرسة العلية والمدرسة السليمانية والمدرسة الأحمدية فضلاً عن انه كان لكل جامع مدرسة خاصة . وتعد هذه المدارس بالعشرات تفردت بغداد عاصمة العراق بها . واكثر المدارس شأناً ما أنشأه داود باشا او عمره من المدارس القديمة .

أخذ الأستاذ الألوسي العلم من هذه المدارس كما أخذه من ابيه وجماعة غيره . آخرهم الشيخ علي علاء الدين الموصلي بن صلاح الدين يوسف بن رمضان من أسرة معروفة بآل الرمضاني أقامت في بغداد مدة ولا تزال بقاياها حتى اليوم . وابنه الشيخ اسماعيل كان معروفاً بالعلم وهو استاذ اولاد الألوسي واحفاده . ويتميز الأستاذ علي علاء الدين على غيره بالأدب ، هذه الصناعة التي تغلبت في المادة على علماء العرب .

عرضنا لذكر العلماء عندنا في (التاريخ العلمي) ومن رجع الى ثبت اسمائهم ايام داود باشا هاله العدد . ويعجب كل العجب من سمع عثمان بن سند يتحدث عن العلماء الذين تلقوا (مذهب السلف) من محمد بك الشاوي المتوفى قبل الألوسي . ولا تهمنا الأعداد ولا المفاخرة والمبالغة في اثرها ، وانما نقول انه جاء علماء اكابر في عهد المماليك تولوا الثقافة وكانوا يعنون في مدارسهم بتخريج من يرغبون في العلم .

واشتهر قبل الألوسي ادباء كثيرون وشعراء منهم الشيخ حسين الفشاري جد الأستاذ لأمه . وآل السويدي وغالبهم من اهل الأدب ، والسيد عبد الله الفخري اديب في العربية والتركية ، وابنه سعد كذلك وآخرون ممن ذكرناهم في التاريخ الأدبي . وكان اكثرهم متأثراً بالتراث الخالد الذي انتقل من مخلفات العصور الماضية .

ولا عجب أن يظهر استاذنا في هذا الوسط . ويخطئ من يظن ان هذا العهد (عهد ظلمة) ، وانما اهملت بعده العناية بالآداب لذا كان البغداديون يترحمون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على داود باشا ويأملون لضياع قدر العلم ، ويحزنون لذكرى تلك الايام . ومن اجازات العلماء تجلت لنا الرغبة الأكيدة في الحرص على العلم ونشره .

ظهر الأستاذ الألوسي في هذا العصر من عصور الثقافة ، وليس من السهل الظهور فيه ، فتراه سما الى أوج لم يستطع العروج اليه كل طالب ، وهنا تبين القدرة . لم تكن الثقافة مشوشة فنظمها ، أو دراسة فرغب فيها . وكان سموه سمو حكيم . أخذ العلم في وقت مبكر جداً من أيام حياته ، وكان على مواهب طبيعية نادرة . ويحكى عنه انه قال : «ما استودعت ذهني شيئاً فخانني» . وبهذه الموهبة كتب له الظهور في العلم ، وفي آثاره ما ينبئ بسعة ثقافته وأدبه الجم .

ومن أشهر هذه الآثار :

١ — روح المعاني في التفسير .

٢ — الأجوبة العراقية عن الأسئلة الايرانية .

٣ — الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية .

٤ — السبع المثاني .

٥ — نشوة الشمول في السفر الى اسلامبول .

٦ — نشوة المدام في العودة الى مدينة السلام .

٧ — غرائب الاغتراب .

٨ — مقامات الألوسي .

٩ — الفيض الوارد في أحوال المولى خالد .

١٠ — كشف الطرة عن الغرة .

١١ — حاشية على شرح القطر .

١٢ — شرح سلم المنطق .

١٣ — بلوغ المرام : حاشية على عصام الاستعارة . مخطوطة عندي بخطه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٤ — الرسالة اللاهورية ٠

١٥ — البرهان في اطاعة السلطان ٠

١٦ — شهي النغم ٠ عندي بخطه ٠

١٧ — النغمات القدسية ٠

١٨ — سجع القمرية في ربع العمرية ٠

١٩ — سفرة الزاد لسفرة الجهاد ٠

وهذه الكتب منها ما كتبه أيام طلبه العلم ومنها ما كتبه بعد أن ولي التدريس على عهد المماليك ومنها ما كتبه بعد سقوط بغداد أو بعد سفره الى اسلامبول ٠ أجازه الأستاذ الشيخ علي علاء الدين الموصلي في غرة ذي الحجة سنة ١٢٤١ هـ وتخرج من مدرسة عاتكة خاتون الكيلانية بالأستاذ الموصلي وجرى له احتفال عظيم بدعوة من الواقفة صاحبة المدرسة ثم عارضه العلماء معارضة قوية فتدخل في الأمر عبد الغني آل جميل من مشاهير علماء بغداد وراجع الوالي وناصره الكتخدا ٠ وفي غضون ذلك أنشأ له نعمان چلبي الباچه‌جي مدرسة وسند اليه التدريس فيها سنة ١٢٤٢ هـ ٠ ودام ذلك حتى انتزعت بغداد سنة ١٢٤٧ هـ من المماليك وولي الوزير علي رضا باشا اللاز ٠

وكان أهم أدوار حياته بعد سقوط بغداد سنة ١٢٤٧ هـ ، وقد ولي الافتاء السيد محمد سعيد الطبقجه‌لي وهو أول مفتٍ في بغداد بعد المماليك وكان الوزير بكتاشي الطريقة ، فلم يرض عن هذا المفتي ، وكان الأستاذ عبد الغني الجميل في الشام فاستدعاه لتولي الافتاء ، فصار ثاني مفت ، والأستاذ المترجم له أمين فتواه ٠ ثم نكب هذا المفتي في فتنة علي رضا باشا اللاز وأحرقت كتبه وكانت خزانته أجل خزانة كتب ببغداد أضاعها العراق ٠

وفي سنة ١٢٤٩ هـ ولي الأستاذ الألوسي الافتاء ، وفي هذا المنصب ظهرت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مواهبه واتصل بالأدباء والعلماء على طبقاتهم . اتصل بالشيعة وبالكشفية وبالبابية فكتب فيهم ما كتب ، وكان أصدق من كتب . وأمسى بيته نادي علم وأدب . وهذا ما لفت أنظار الحساد فتوصلوا الى الوقيعة به حتى عزل من الافتاء في ٢٧ شوال سنة ١٢٦٣ هـ فصار الى عوز وضيق ورحل الى اسلامبول في غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٦٧ هـ وعاد الى بغداد في ٥ من شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٩ هـ فكتب رحلاته الثلاث (نشوة الشمول) ، و (نشوة المدام) ، و (غرائب الاغتراب) وكتب (شهي النغم) وقدمه الى شيخ الاسلام عارف حكمة الا انه لم ينل مطلباً في اسلامبول ، وعاد عليلاً ولازمه المرض حتى توفي في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ .

حياته التاريخية

لعل حياة الألوسي في الطلب والتدريس والعلم لا شأن لها كشأنها في التاريخ وطريقة تدوينه . ومن الصعب ان ندرك الحالة التاريخية عندنا ان لم نتعرض للأستاذ المترجَم له . فقد كان الاشتغال بالتاريخ فردياً يقوم على اعتبارٍ شخصي عاطفي لا يتحرى الحقيقة المجردة العلمية ، لذلك انعدمت الفائدة منه لأن المؤرخ المحقق يجب ان يكون حيادياً لا ينساق مع التيارات المتنازعة ، يتحلى بالروح العلمية الصحيحة . وقد تحرر الأستاذ الألوسي من هذه النزعات فجاء منهجه التاريخي واضحاً علمياً كما يظهر من مجلداته العديدة .

نشط للتاريخ وكتب فيه فجعله خالصاً مما وقع فيه من قبله ، ثم انتقلت فكرته هذه الى أولاده وأحفاده حتى استمر تدوين التاريخ في سلوك هذا النهج القويم رغماً عن أولئك الذين يتعرضون له بجهلٍ أو غايةٍ شخصية . ومن هنا ندرك ان الاشتغال بهذا العلم قد تكامل في أيام ابي الثناء وهو أول مؤرخ في عهده بدأ عمله العلمي بنفسه ، ثم درّب تلامذته فاختطوا طريقته واتبعوا نصحه وارشاده . وقد كان عصره عصر اضطرابٍ وخللٍ أعقب انقراض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المماليك فشهد فيه الألوسي هذا الاضطراب وشهد معه اثر الطاعون وسوء الادارة ٠ هذه العوامل المتكاتفة أبعدت الشقة بين الأهلين والحكم الجديد ، ولولا ابي الثناء وآثاره ، والعصبة الأدبية التي التفّت حوله من تلامذته وغيرهم لندر وجود المؤرخين المعاصرين ٠

ولئن نشأ في أيام الألوسي بعد عهد المماليك مؤرخون في التاريخ السياسي والتاريخ الأدبي والعلمي الا ان من بين هؤلاء نفراً استخدمتهم السلطة الحاكمة ووافقوا آراءها ودونوا لها ما أرادت وقد انتشرت تواريخ ايرانية وتركية بلغاتها فوقفنا عليها وطالعنا ما فيها ، كما ان من بين هؤلاء المؤرخين أيضاً نفراً كانت رغبتهم في التأريخ خالصة وقد تركوا لنا ما يصور هذه التطورات والحوادث ٠

كل هذه الاتجاهات هي التي ألهمت الأستاذ الألوسي وتلامذته الى الاتجاه التاريخي الصادق فذكروا ما وقع من حوادث أدبية وأثبتوا لنا ما نطق به الأدباء وبيّنوا الصلات الأدبية آنذاك ، حتى احتلوا مكانة سامية في التدوين ومضوا في تأسيس هذا الاتجاه الجديد لا يلتفتون الى ما انقضى وان كانوا يضمرون لتاريخهم القديم وما ورثوه من مدونات وكتب ومجاميع احتراماً واجلالا ٠

لقد كان قبلهم من المؤرخين (الغرابي) و (السويديون) و (ابن سند) وأدباء آخرون نشطوا للعمل فألهمت مؤلفاتهم من وليهم نهجاً جديداً وولدت آراء في التدوين ، وقد أعملوا فكرهم فمحصوا الأوضاع ولم يقفوا عند المصادر او النقل المجرد ٠ واذا كانت رحلة السويدي ألهمت رحلات الألوسي في بيان مشاهداته العلمية والتدوينات الأخرى و (تاريخ الغرابي) ولد (كلشن خلفا) و (دوحة الوزراء) ، وابن سند ٠٠ فان حديقة الزوراء وسائر المجاميع الأدبية الأخرى ألهمت (حديقة الورود) وذيولها ، و (الروض الخميل) ، و (عنوان المجد) ، و (المجد التالد) ٠ الى آخر هذه التأثيرات التي يطول ذكرها ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخلاصة القول أنه تولدت في عصر الألوسي حركة تاريخية امتدت واطردت بعده ، وسارت في اتجاهاتها الحرة ، وتكونت كتلة أدبية من علماء الأدب فخافت الدولة منها وفرقت الجماعة فعزلت الألوسي عن الافتاء فلم يعد يستطيع أن يستعيد موقفه ولم يفده سفره الى استانبول ولا التعلق بسبب من شيخ الاسلام عارف حكمة ولا غيره من رجال الدولة فانصرف على سنته في حرية التدوين .

أما المعاهد والمدارس فقد كانت مصانع تاريخية يلقن اساتذتها العلوم ويوجهون ويدربون ، يستفيدون مما خلفه لهم من سبقهم من كتب . وقد كانت مؤلفات الألوسي ظاهرة من ظواهر عمله يظهر فيها الطريقة الصحيحة لتدوين التاريخ كما كان هو على اتصال دائم بالأدباء والعلماء المعاصرين دع من سلكوا سبيله في هذا المضمار من تلامذته ، فنبههم الى الثقافة التاريخية والأدبية ونجح في مهمته من طريق غير مباشر ، من طريق المدارس والاتصال بالعلماء لا من طريق (المعارف) .

ولنا أن نقول ان عصر الألوسي يقابله عند الترك العثمانيين (عصر التنظيمات) ، هذه التنظيمات التي عُدّت مبدأ للعصر الجديد يفصله عن الماضي القديم .

وعلى هذا المقياس يبدأ (عهدنا الحديث) بسنة ١٢٤٧ هـ أي بعد انقراض المماليك ويصح ان يسمى (بعصر الألوسي) ولم ينقطع بوفاته بل امتد مائة سنة بعد وفاته وهذا هو العهد الذي أردنا ان نعيد الى النفوس ذكراه .

والعراق في عهد الألوسي وما بعده لم يكتف بثقافته الخاصة بل اقتبس من الترك ما كتبوه عن الحوادث السياسية التي تتعلق بالعراق وسياسة الأتراك ، كما أن بعض العرب ألفوا لجاءتنا مؤلفاتهم مضطربة غير منسقة ولا مرتبة ولا توضح من حالتهم آنذاك الا النذر القليل . ومن الآثار الجليلة المفيدة التي تمس بحوادث العراق ما دوّنه المؤرخ التركي العراقي الأستاذ سليمان فائق ابن الحاج طالب كهية ، وفي مؤلفاته مناقشات تاريخية مهمة تستوقف النظر ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اذ كان متصلاً بالألوسي فذكره في رحلاته . وقد استفاد العراق أيضاً مما وصل اليه من تآليف الايرانيين والهنود وما كتبوه في التاريخ ، والعراق حينئذ كان على مفترق الطرق يطلع على ذلك كله ولا تخفى عليه خافية إلا أنه كان يعوزه التنظيم والتنسيق . ويحسن بنا هنا أن نشير أيضاً الى أثر الصحافة في استنبول وفي الأقطار العربية فقد كانت عامل فائدة في بابها .

فالألوسي اذن بتوجيهه الظاهر في كتبه وسيرة تلامذته الى جنب ظهور الوسائل الأخرى للثقافة التاريخية كان العامل الأكبر في بث الفكرة التاريخية وخلاصها من الأغراض الشخصية . ولا ينكر ان هناك مؤرخين عديدين ظهروا في العراق ولم تكن لهم علاقة بالألوسي أو طلابه وانما كان همهم ان يبينوا ما أغفله الأستاذ أو يعارضوه .

ومن المؤلفات في التاريخ الأدبي :

١ — حديقة الورود في حياة الشهاب محمود . لا تزال مخطوطة . كتبها أحد الأدباء من تلامذة الأستاذ وهو عبد الفتاح الشواف . واختصرها أخوه عبد السلام الشواف وكان من العلماء الأفاضل . وعندي مخطوطة منها .

٢ — ذيليا للمؤلف . وتوفي قبل الأستاذ الألوسي .

٣ — تكملتها . للأستاذ نعمان خير الدين الألوسي ابن المرحوم الأستاذ أبي الثناء . مضى بها الى تاريخ وفاة ابي الثناء .

وهذه كلها في حياة الأستاذ وعلاقاته بالعلماء والأدباء . واتجاهها أدبي تاريخي . وتعدّ من أجل الصفحات في تاريخ عصر الألوسي .

٤ — مؤلفات الأستاذ . وقد مرّ بيانها . وتحتاج الى تحليل علمي .

٥ — الروض الخميل في آل جميل . كتب على غرار الحديقة الا انه يحوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما قيل في هذه الأسرة من مديح . كتبه السيد عبد الله الألوسي ابن المترجم .

٦ — ديوان عبد الباقي العمري .

٧ — ديوان الأخرس .

٨ — مجموعة الأخرس في شعر عبد الغني جميل .

٩ — المجد التالد في الشيخ خالد للسيد ابراهيم فصيح الحيدري .

١٠ — عنوان المجد في تاريخ بغداد والبصرة ونجد .

وهي مؤلفات تعد من أجل الصفحات في تاريخ عصر الألوسي تبحث في حياة الأستاذ وعلاقاته بالعلماء والأدباء واتجاهها أدبي تاريخي . وكل هذه كتبت في عصر الألوسي أو بعده بقليل . ثم جاءت كتب الأستاذ السيد محمود شكري والسيد نعمان خير الدين الألوسي ، والتاريخ الأدبي (الدر المنثر) للأستاذ علي علاء الدين الألوسي .

وفي هذه التآليف يظهر أثر الاستاذ المترجم ، ثم كثرت المؤلفات وأتى عهد الدستور وبرزت علاقات عالمية لا تخلو من تأثير كبير في ثقافة العصر حتى مضى على وفاة أستاذنا مائة سنة . ولا بد لمن يريد دراسة مؤلفاته القيمة من وقت طويل ليوفيها حقها من التاريخ الأدبي والتاريخ العلمي لأنه كان وحده مدرسة أدب وتاريخ .

عباس العزاوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net